جذور الدّراسات الأسلوبيّة الحديثة في الموروث البلاغي عند السكّاكي والزّمخشري

Roots of Modern Stylistic Studies in The Rhetorical Legacy of Sakkaky and Al-Zamakhshari

1ـ سمراء شلواش
البريد الإلكتروني: samradz04@gmail.com
التخصص : اللسانيات واللغة العربية
الرتبة: طالبة دكتوراه
المشرف: نور الدين صحراوي ــ الرتبة: أستاذ
الجامعة: الحاج لخضر باتنة . الجزائر
اسم وعنوان المخبر: الموسوعة الجزائرية الميسرة

2 ـ د . عبد العزيز بوشلالق
البريد الإلكتروني: chelaleg@gmail.com
التخصص : نقد مسرحي ودراماترجيا
الرتبة: أستاذ محاضر (أ)
الجامعة: محمد بوضياف بالمسيلة . الجزائر
اسم وعنوان المخبر: سيميولوجيا المسرح بين النظرية والتطبيق

تاريخ الإرسال: 2019/01/14 تاريخ القبول: 2019/11/19 تاريخ النشر: 2019/12/31

الملخّص:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى ربط الأسلوبية بالتراث البلاغي في محاولةٍ لإيجاد صلة أو رابط بين التراث والمعاصرة في دراستنا البلاغية، ومستندة في ذلك إلى ملاحظات كلّ من السكاكي البلاغية في كتابه "مفتاح العلوم " وملاحظات الزخشري. وتهدف هذا الدراسة إلى الاستيعاب الإيجابي للمكونات والأسس الفكرية التي انطوى عليها التراث البلاغي ونفض الغبار عن التخريجات الناضجة والتصوّرات المعرفية العميقة بمسألة الإنتاج اللغوي في الفكر البلاغي العربي، خاصّة وأنها تنسجم مع الطروحات الموجودة في البحث اللساني الحديث (التداولية). ومحاولة عقد الصّلة المعرفية بين الثقافتين المتمثلتين في الفكر العربي والفكر الغربي، ومحاولة إيجاد الصّلة بين ملاحظات كلّ من السكّاكي والزمخشري، وملاحظات الأسلوبيين في دراستهم الحديثة، وصولا إلى نتيجة مفادها وجود قواسم مشتركة كثيرة بين الدرس البلاغي القديم والدراسات الأسلوبية الحديثة .

الكلمات المفتاحية: جذور، الأسلوبية ، البلاغة ، التراث ، صلة.

Abstract : This paper seeks to link stylistic to rhetorical heritage in an attempt to find a link or link between heritage and contemporary in our rhetorical study, based on the observations of the rhetorical Sakaki in his book "Key of Science" and the observations of Zamakhshari. This study aims at positive assimilation of the components and intellectual foundations that It included the rhetorical heritage and the flick of mature abstractions and deep cognitive perceptions of the issue of linguistic production in the Arabic dialectic thought, especially as it is consistent with the propositions in the modern linguistic research (the deliberative). The attempt to establish the knowledge link between my cultures Alemtemtlten thought in the Arab and Western thought and try to find the link between the observations of both Alskaki and Zamakhshari, and notes Aloslobien in modern studies, leading to the conclusion that there is much in common between the old lesson rhetorical and stylistic studies of modern.

Keywords: roots, stylistic, rhetoric, heritage, relevance.

مقدّمـــــــة:

تعدّ الأسلوبيّة في نظر كثير من الدّارسين منهجا نقديا حديثا، شغل دارسي النّقد باعتبارها وسيلة لتحليل النصّ الأدبي وفق أسس لغوية حديثة تعتمد على التحليل اللغوي والظواهر المميزة في النص، للكشف عن المعنى ومعنى المعنى وعلاقة ذلك بالمبدع الذي اختار مفردات النصّ، وأقام علاقات فنّية بين مركّباته اللّغويّة متجاوزا بذلك مرحلة التّعبير النّمطي المألوف إلى تعبير فنّي، تصبح فيه اللغة وسيلة فنّية، وذلك بالكشف عن مكنونات المبدع الذّاتية وتجاربه الخاصّة، التي جعلته يستخدم اللّغة استخداما خاصا .

الإشكالية: للبحث في موضوع الأسلوب بين القديم والحديث يمكن طرح التّساؤل التّالي : هل يمكن تأصيل الدّراسة الأسلوبيّة في الموروث البلاغي من خلال علاقة الأسلوبية بالدّراسات التي تعاملت مع علوم البلاغة العربية الثلاثة (البيان والبديع والمعاني) ؟ وهل ترتبط ورؤية البلاغيين العرب لهذه العلوم من منظور نقدي؟

وللإجابة عن هذين السّؤالين يمكن أن نبحث فيما تركّز عليه الأسلوبية في جانب من جوانبها على الجانب الجمالي، أي أثر اللّغة المستخدمة في النّص على القارئ. لأنها تجاوزت الجانب الوظيفي للّغة إلى الجانب الجمالي. ولما كانت الأسلوبية تهتمّ بدراسة الجانب الجمالي في الظّاهرة اللّغوية وأثر ذلك على المتلقي الذي يتعامل مع النص، ويقوم باستيعابه، فإنّها ترتبط بشكل أو بآخر بالدّراسات البلاغيّة القديمة، وترتبط إلى حدّ ما بجهود البلاغيّين العرب في هذا المجال، وبما أنّنا لا نستطيع أن نعزل الأسلوب عن الموروث البلاغي القديم، فقد نجد بعض الاختلاف وكثيرا من نقاط الالتقاء والاتفاق لأنّ كليهما يتعامل مع الجانب الجمالي للغة، وعلاقة اللغة الإبداعية بالمبدع أولا، ثم بالمتلقي ثانيا، وهنا يمكن أن نلمح هذه العلاقة من خلال تأمّل ما في علوم البلاغة العربية من قضايا بلاغية يمكن أن تشكّل أساسا لكثير من القضايا التي تعالجها الأسلوبية الحديثة

دلالات الأسلوب والعلاقات البلاغية:

تحمل كلمة أسلوب في ذات استعمالها عند العرب قديماً معنى الفنّ، أو ما يكون متعلقاً باللغة من حيث التفنن في إظهارها بسماتٍ تكون أدعى للقبول، وأشد تأثيراً في السامع.

ولا عجب في ذلك، إذ عُرف العرب بفصاحتهم وبلاغتهم وحرصهم على انتقاء الألفاظ والمعاني في كلّ ما يصدر عنهم، ولعل ظاهرة عبيد الشّعر، تعدّ دليلاً على ذلك. والأكبر منه هو نزول القرآن الكريم متحدّياً إيّاهم بأن يأتوا بمثله، فجاءهم الله تعالى بمعجزة تناسب المقام الذي كانوا عليه من حيث اللّغة الفصيحة والبلاغة المليحة.

إنّ التّسليم بتأثير التطوّر الذي حصل على الدراسات اللّغوية، لا ينفي أن تكون ملامح الدّراسات الأسلوبية قد كان لها جذورها في الدراسات العربية، وإن لم تحمل هذا الإسم. وقد اتجه باحثون عرب إلى صميم التراث العربي لاستنطاق النّصوص التّراثية بمفهوم الدّراسات الأسلوبية من قبيل الإقرار بالبعد التاريخي لها، "وتأكيد أصالة البحث الأسلوبي عند العرب، والكشف عن صلة الرحم بين الأصالة والحداثة"[1]، وأتوا بنتائج إيجابية.

1 ـ سمراء شلواش
2 ـ د عبد العزيز بوشلالق

تعرّف الأسلوبية انطلاقاً من محاور ثلاثة: المخاطِب(صاحب الأدب)، والمخاطَب(متلقي الأدب)، والخطاب(النص الأدبي). وقد كان تعريفا ينطلق من تعريفات الغربيين للأسلوب باعتباره: "علما تحليليّا تجريديّا، يرمي إلى إدراك الموضوعيّة في حقل إنساني عبر منهج عقلاني، يكشف البصمات التي تجعل السّلوك الألسني ذا مفارقات عمودية"[2]

تهتمّ الأسلوبية الحديثة بالخصائص الفنية والملامح الدلالية الدقيقة التي أطلق عليها القدامى أسراراً بيانية، تستنبط من خلال تدبّر النصّ وطريقة نظمه ومباني ألفاظه، مركزين على تفسير العدول، الّذي يعدّ من أهمّ ميادين الأسلوبية الحديثة. ومحاولة تفسيره في ضوء نظام اللغة العربية، وهو تناول أقرب إلى مفاهيم الأسلوبية وعلم لغة النصّ اللذين يتداخلان كثيراً.

إن المفهوم الذي استقرّ عليه مصطلح الأسلوبية بهذه الصيغة اللفظية،" لم يظهر إلاّ في بداية القرن العشرين، مع ظهور الدراسات اللّغوية الحديثة، التي قرّرت أن تتّخذ من الأسلوب علماً يدرس لذاته، أو يوظّف في خدمة التّحليل الأدبي أو التحليل النفسي أو الاجتماعي، تبعاً لاتجاه هذه المدرسة أو تلك"[3] ومن أجل تسهيل الدّراسة يمكن تقسيم هذه العلاقات بحسب البلاغة العربيّة إلى ثلاث.

" إذا كانت البلاغة تنتهي في وصفها وتحليلها عند حدود الجملة ما عدا مبحث الفصل والوصل ومبحث الالتفات، فإنّ الأسلوبيّة تتجاوز ذلك إلى وصف الخطاب وتحليل مكوّناته وتستعين بالبلاغة وتتجاوزها، ويتجلّى هذا التّجاوز في مواطن كثيرة أهمّها ما يتفرّع عن نظرية الانزياح وظاهرة التناصّ وسوى ذلك"[4]. يرى نور الدين السدّ فروقا بين الأسلوبية والبلاغة تشمل في المقابلة الآتية:

1 ـ "علم البلاغة:

1-علم معياري

2-يرسم الأحكام التقييمية

3-يرمي إلى تعليم مادته وموضوعه

4-يحكم بمقتضى أنماط مسبقة

5-يقوم على تصنيفات جاهزة

6-يرمي إلى خلق الإبداع بوصايا إبداعية

7-يفصل عن الشكل عن المضمون

8- يعد الانزياحات وسواها من الظواهر عوامل مستقلة تعمل لحسابها الخاص

9-لا يحدد السمات المهيمنة على الخطاب الأدبي

10-يدرس الخطاب الأدبي دراسة جزئية

2 ـ الأسلوبية:

1-علم وصفي

2- لا تطلق الأحكام التقييمية

1 ـ سمراء شلواش
2 ـ د عبد العزيز بوشلالق

3-لا تسعى إلى غاية تعلمية

4-تحدد بقيود منهج العلوم الوضعية

5-تسعى إلى تحليل الظاهرة الإبداعية بعد أن يقرر وجودها.

6- لا تقدم وصايا لكيفية الإبداع الأدبي.

7- لا تفصل عن الشكل عن المضمون.

8- يعد الانزياحات وسواها من الظواهر عوامل غير مستقلة تعمل في علاقة جدلية لحساب الخطاب كله.

9- تحدد السمات المهيمنة على الخطاب وتهتم بالسمات الأدبية.

10-تدرس الخطاب دراسة شمولية من حيث الظاهر والباطن"[5]

وسنحاول تتبّع ذلك في الموروث البلاغي القديم متّخذين كتاب مفتاح العلوم للسكّاكي أنموذجا باعتبار السكّاكي هو الذي جمع الملاحظات البلاغيّة التي سبقوه إليها، ورتّبها وبوّبها فهو من هذا الجانب يمثّل النموذج البلاغيّ القديم، كما حدّد ذلك ابن خلدون في حديثه عن علوم البلاغة العربيّة ودور البلاغيين فيها " وأطلق على الثلاثة عند المحدثين اسم البيان وهو اسم للصنف الثاني، لأن الأقدمين أوّل من تكلّموا فيه، ثم تلاحقت مسائل الفنّ واحدة بعد أخرى، وكتب فيها جعفر بن يحي والجاحظ وقدامة وأمثالهم إملاءات، غير وافية لم تول مسائل الفن، فكتمل شيئا فشيئا إلى أن مخض السكّاكي زبدته وهذّب مسائله ورتّب أبوابه."[6]

يعدّ السكّاكي من هذا الجانب صاحب الفضل في تهذيب مسائل البلاغة العربية وترتيب أبوابها، لأنّ صيغته في الدّرس البلاغي " أقرب الصيغ إلى روح العلم وأجدرها بأن تكون طرفا في علاقة الحوار بين التراث البلاغي والأسلوبيات اللّسانية المعاصرة"[7]

ولهذا يمكن أن يكون نموذجا للموازنة بين قضايا الأسلوبيّة الحديثة وقضايا البلاغة العربيّة القديمة، بمبدأ تواصل الفكر الإنساني ونموه وربط التراث بالمعاصرة حيث عدّت " الأسلوبية بلاغة حديثة، إذ البلاغة في خطوطها العريضة فنّ للكتابة وفنّ للتأليف " فنّ لغوي وفنّ أدبي" وهما سمتان قائمتان في الأسلوبية، ومن هنا كانت المقولة: البلاغة هي أسلوبيّة القدماء، وهي علم الأسلوب آنذاك."[8] وسيتّضح ذلك من خلال تتبّع علوم البلاغة العربيّة الثلاثة وعلاقتها بقضايا الدّراسات الأسلوبية الحديثة.

علاقة الأسلوبية بعلم المعاني:

يتعلّق علم المعاني بمباحث بلاغية تختصّ بالجملة وما يطرأ عليها من تغيير، أو بمعنى آخر هو العلم الذي يتناول دراسة الجملة العربية عندما يخرج تركيبها من الأصول المتعارف عليها لغويا ونحويا، بغرض تحليل هذا الخروج، وتقييم أثره على المعنى، والمتلقّي على حدّ سواء "وليس في كتب البلاغة الأولى إشارة إلى هذا العلم، ولا تعرف أحدا استعمله وسمّى به قسما من موضوعات البلاغة قبل السكّاكي (625هـ)[9] الّذي ركّز في كتابه مفتاح العلوم على ركني الجملة الأساسية " المسند والمسند إليه " وما يطرأ عليهما من تغيير في التقديم والتأخير والحذف والذّكر والتّعريف والتّنكير، وخروج الكلام عن مقتضى الظّاهر واستعمال المضمر موضع المظهر أو العكس، وقضايا الالتفات والفصل والوصل، والإيجاز والإطناب

1 ـ سمراء شلواش
2 ـ د عبد العزيز بوشلالق

والقصر، إلى غير ذلك من القضايا الّتي ركّز عليها وتدخل في إطار دراسته لعلم المعاني. بذلك تلتقي البلاغة القديمة مع الأسلوبية الحديثة في محاولة للكشف عن المعنى، الّذي" مثلت البلاغة في كثير من جوانبه العلاقة بين الأسلوب والمعنى، وصلة هذا الأسلوب بما تتعرض له الجملة، هو الذي يدخل تحت ما سمّي بعلم المعاني الذي يختص بتتبّع سمات تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره"[10]

وفي حديث السكّاكي عن موضوع الفصل والوصل، بيّن القيمة البلاغية لكلّ منهما، فمع الوصل يكون العطف بالواو، ومع الفصل يستغني عنه، وبيّن قيمة الوصل بالواو على المستوى البلاغي، والسّبب في أنّ قرب القريب وبعد البعيد يعتمد معرفة أصول ثلاثة أحدها الموضوع الصالح له من حيث الوضع، وثانيها فائدته وثالثها وجه كونه مقبولا أو مردودا."[11]

كما استعرض السكّاكي ضمن السّياقات اللّغوية الّتي حدّدها في النصّ موضوع الإيجاز والإطناب، وعلاقة ذلك بالسيّاق العام للنصّ أو أ سماه البلاغيّون العرب بمقتضى الحال"[12]

وإذا كان السكّاكي قد أشار إلى هذا الموضوع في معرض تحليله لأسلوب النصّ، فإنّه بذلك لا يبتعد كثيرا عن تفكير الأسلوبيّة في صيغة جديدة بفعل تأثير اللسانيات والسيميوطيقا، إلى جانب الشعريّة بوصفها مبحثا مؤهّلا لمعالجة أنماط التعبير والتواصل المختلفة، وقد طوّرت الأسلوبيّة التحليل الدّاخلي والتّزامني، وعزّزت البحث المختصّ بجماليات الكتابة، فضلا عن دراسة التّرابط بين الشّكل والمضمون."[13]

لقد كشف السكّاكي عن الانحراف بالمعنى في " تناول أساليب الإنشاء الطّلبي من انحراف عن المعنى الأصلي، الذي هو أساس الدّراسة الأسلوبية، التي تتعامل مع لغة النصّ من منطلق الظّواهر اللّغوية أولا، والدّلالات التي تتبع ذلك ثانيا لأنّ" المنطلق البلاغي القائم على مفهوم الانحراف في لغة الشّعر هو ما أقامت الأسلوبية منطلقها النظريّ عليه في دراسة الأدب، وكان هو ذاته الإطار الموضوعي فيما أنتج بخصوص اللّغة الشعرية"[14]

علاقة الأسلوبية بعلم البيان :

ليست الأسلوبية بعيدة عن علم البيان، الذي وقف عليه البلاغيون العرب القدماء،لأنّ التّشكيلات الفنّية، التي يقوم عليها علم البيان هي أساس الدّرس الأسلوبيّ، ولكن بطريقة مختلفة، تتجاوز النّاحية الشّكلية إلى دراسة تحليليّة، تحاول رصد الظّاهرة الفنّية وتحليلها وإبراز علاقتها بالمعنى، وهي ملاحظة أشار إليها السكّاكي في معرض حديثه عن علم البيان بقوله" وإذا عرفت أنّ إيراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأتّى فعلا في الدلالات العقلية، وهي الانتقال من معنى إلى معنى بسبب علاقة بينهما، كلزوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه، ظهر لك أنّ علم البيان مرجعه اعتبار الملازمات بين المعاني"[15]

وهي ملازمات تتصل بتشكيلات الصّورة البيانيّة، ينتقل فيها السّامع من مجرّد تعبير لغويّ مباشر إلى معان مصاحبة، يمكن الوصول إليها عن طريق تجاوز ظّاهرة التّشكيل اللّغوي المباشر، إلى الملازمات الّتي تصاحب اللّغة، وتنقل السّامع عن طريق اللّغة العادية الوظيفيّة إلى اللّغة الفنّية، التي تجعله أقرب إلى فكر الكاتب وإحساسه وشعوره، وهذه التّشكيلات هي التي تشكّل أساس الدّراسة الأسلوبيّة، ومن اللافت للنظر" أن هذه الوسائل التعبيرية الموروثة أصبحت –

1 ـ سمراء شلواش
2 ـ د عبد العزيز بوشلالق

بشكل أو بآخر – إحدى مجالات الدّراسة الأسلوبية، ليس باعتبارها موروثات مقدّسة، وإنّما باعتبارها إمكانات لغويّة، من الممكن رصدها وتحليل العلاقات بينها، لاكتشاف النّظام العام الّذي يحكمها، ثم لنبيّن البنية الجمالية التي تختفي وراءها."[16]

تتناول الأسلوبية الجانب الجمالي من خلال التّركيب اللّغوي، وهي بذلك لا تعتمد مجرّد الصّورة أو علاقتها الخاصّة، وإنّما تتجاوز ذلك إلى نظرة جماليّة تتشكّل مع بناء الصّورة " ذلك أنّ الدّراسة الأسلوبيّة ليست عمليّة تفسير فحسب، كما أنّها ليست منهجا يأتينا بما لا نتوقّع، وإنّما هي نظرة جماليّة تتخلّق من خلال الصيّاغة"[17]

يركّز السكّاكي في كلّ هذه السّياقات على قضيّة اللغة، بعدّها وسيلة فهم النصّ، وهو في تحليله هذا يعتمد الجانب الأسلوبي، الّذي يقترب من منهج الأسلوبين في دراسة النصّ وتحليله "ولا نبتعد عن الحقيقة إذا قلنا: إنّ البحث الأسلوبيّ هو في جوهره بحث في التّقاليد، غير أنّ التّقاليد في النّقد الحديث مفهوم يتّسم بتنوّع من التّركيب."[18]

علاقة الأسلوبية بعلم البديع:

يتّصل البديع بمحسّنات تخصّ الكلام، وهذه المحسّنات قسمان : قسم يرجع إلى المعنى وقسم يرجع إلى اللفظ، استعرضهما أبو هلال العسكري في: البديع المعنويّ الّذي يشمل الطّباق والمقابلة والمشاكلة وغيرها من الموضوعات والمحسنات البديعية، والبديع اللّفظيّ الّذي يشمل الجناس والسجع وغيرهما.

تعد ملاحظات السكّاكي في الجزء الثّالث من كتابه مفتاح العلوم، ذات بعد أسلوبيّ واضح، رغم ما قيل بشأنها من إضعاف للبلاغة العربية، ومهما يكن من مآخذ على هذه الصورة، فإنّها في رأينا الصّورة الوحيدة، التي يمكن الانتفاع بها في المبحث الأسلوبي اللساني" [19]

أسلوب الالتفات وقيمة التداولية عند الزمخشري:

من أبرز التّخريجات البلاغيّة التي تكشف عن عمق مدى اشتمال أسلوب الالتفات على طاقات تداولية ما صدر عن الزمخشري (ت532هـ)، الذي ربط هذا الأسلوب بالسّامع ربطا حقيقيّا منصاعا إلى مبادئ تداولية صريحة وواضحة،

مثل التفات امرئ القيس ثلاث مرّات في ثلاثة أبيات :

تطاولَ ليلُك بالأثمد ونام الخليُّ ولم ترقُــد

وباتَ وباتتْ له ليلةٌ كليلة ذي الحائرِالأرمــد

وذلك من نبإٍ جاءني وخبرته عن أبي الأسود [20]

وذلك من عادة افتتانهم في الكلام وتصرفهم فيه، لأنّه إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن لنشاط السامع، إيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد. والجدير بالذّكر في هذا الصدد، أنّ الانتقال في الخطاب من أسلوب إلى آخر، لا يكون عشوائيّا دون قصد من طرف المتكلم، بل على العكس من ذلك تماما، فالمتكلّم وهو في إطار توظيف الالتفات ينشد فائدة وغرضا، ممّا يجعل كلامه مطبوعا بحمولة تداولية بامتياز، ويمكن تثبّت هذا الطّرح بالاعتماد على تنظيرات الزمخشري قي تفسيره الكشاف، وبالضبط في سياق حديثه وتفسيره للآيات المشتملة

على الالتفات في الذكر الحكيم، إذ يستنبط عدّة أغراض ومقاصد نفعية نابعة من استخدام الالتفات بمختلف أقسامه ، الّتي من بينها:

1. الانتقال من أسلوب التكلّم إلى أسلوب الخطاب:

إنّ الانتقال من أسلوب التكلّم إلى أسلوب الخطاب القصد منه إنجاح أثر التلفّظ، في المساحة المعنوية، التي تحمل بعدا تداوليا، يمكن من خلالها جلب المتلقي إلى مباشرة عملية الإصغاء الإيجابي، ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿**وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[21] ، يقول الزمخشري في تعليقه وتفسيره لهذه الآية الكريمة " وإليه ترجعون "ولوا أنّه قصد ذلك لقال " الذي فطرني وإليه أرجع " أي أنّ أصل التعّبير: وإليه أرجع، فالتفت من التكلّم إلى الخطاب، ووجه هذا الأسلوب فيه حثّ للسامع على الاستماع، حيث أقبل المتكلّم عليه، وأنّه أعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة، وهو ما يظهر البعد التداولي، الذي يستطيع جلب انتباه المتلقي، لإنجاح أثر التلفّظ.

2. الانتقال من أسلوب التكلّم إلى أسلوب الغيبة:

يظهر هذا النّوع من الانتقال في بعض الآيات الحاملة لهذا القسم من الالتفات، منها قوله تعالى :﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ**..... ﴾[22] وهو التفات على أساس أنّه خرج من ضمير المتكلّم وفي قوله ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ** نَاصِرِين ﴾[23] خرج إلى ضمير الغائب في هذه القراءة، والغرض من هذه القراءة هو التنوّع في الفصاحة، فلمّا أراد الله تعالى أن يؤكّد على وحدانيته واختصاصه بأمر العذاب ومعاقبة الكافرين استعمل : " فأعذّبهم " بضمير المتكلّم المفرد، وأمّا في قوله " الذين آمنوا " فقد التفتت من ضمير المتكلّم إلى أسلوب الغيبة، لأنّ من يقوم بوفاء المؤمنين أجورهم معروف، ومن أجل مزيد من الإمعان في إذلال الكافرين، الذين جحدوا بوجود الله ووحدانيته، وربّما كانت هذه أهمّ مقاصد التداولية والأغراض النّفعية، الّتي جعلت هذا التّشكيل الخطابي يأخذ هذا المنحى الاستراتيجيّ."[24]

3. الانتقال من أسلوب الخطاب إلى أسلوب الغيبة:

ومن شواهد هذا القسم من الالتفاتات قوله تعالى : ﴿....**حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ**.....﴾[25] ففي هذه الآية قد جرى الانتقال من ضمّ الخطاب في كنتم إلى ضمير الغيبة " وجرين بهم" يرى الزمخشري بأنّ الفائدة المجنية من صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة وهي المبالغة لأنّه يذكر لغيرهم حالا، ليعجبهم منها، ويستدعي منهم إنكار القبيح، فلو استمرّ على خطابهم لما نبعت هذه الفائدة، وهنا يظهر أثر التّداولية بوضوح في الانتقال من أسلوب الخطاب إلى أسلوب الغيبة."[26]

4. الانتقال من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم:

يتّضح هذا الانتقال في قوله تعالى :﴿ .....**أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ** ﴾[27] قرأ حفص يؤتيهم بالياء وقرأ عاصم في غير رواية حفص عنه وابن عامر ونافع وابن كثير وحمزة وأبوعمر والكسائي نؤتهم بالنون في قراءتهم التفات من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم، إذا ورد قبل هذا الموضع ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا**..... ﴾[28] " في الموضع نفسه فقد جاء هذا الكلام على لفظ الغيبة، ثم التفتت عنه إلى لفظ المتكلّم في قراءة الجمهور. أمّا بالنسبة

1 ـ سمراء شلواش
2 ـ د عبد العزيز بوشلالق

لقراءة حفص فقد وردت بصيغة تناسب السّياق، ليعود على اسم الله قبله وهو أسلوب الغائب"[29]والحق أن أوضح جهود القدامى يمكن عدّها أسلوبية تنسجم مع دراسة النصّ العربي الإسلامي يمكن تسميتها بالأسلوبية الإسلامية ولاسيما لدى علماء إعجاز القرآن فقد استعملوا مصطلح (الأسلوب) في بحوثهم حول إعجاز القرآن ويدل لديهم: "على الطرق المختلفة في استعمال اللغة على وجه يقصد به التأثير[30]"

خاتـــمة:

وخاتمة القول : نلاحظ ممّا سبق أنّ جهد البلاغيّين العرب القدماء، قد أسّس بشكل واضح للدّرس الأسلوبي الحديث، ولكن لا يمكن للدّارس اعتماد هذا القول من جانب نظري فقط، وإنّما لابدّ من مقارنة الدّرس البلاغي القديم بالدّرس الأسلوبي الحديث، ليتأكّد الدّارس من وجود العلاقة الواسعة بين البلاغة العربية القديمة والأسلوبيّة الحديثة، وهذا يعني أنّ دارس الأسلوبيّة الذي يتعامل مع تحليل النّصوص، لا يمكن له أن يقطع علاقته بالدّراسات البلاغية القديمة، وإنّما عليه أن يصل بينها وبين الدّراسات الأسلوبية الحديثة، ليستفيد من إيجابيات القدماء، ويأخذ ما صلح منها، لدراسات نقديّة حديثة، تضاعف من جهود القدماء وتلائم بينها وبين ما توصّل إليه المحدثون من نظريات نقدية ولغوية، فيها أصالة الماضي وحداثة الحاضر.

القرآن الكريم

المصادر:

امرؤ القيس، الديوان، ضبطه وصححه: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، د/ط، لبنان، 2002.

المراجع :

1-إبراهيم عبدالجواد، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، مخطوط رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان ، 1994، ص 126-127.

2 ـ بربري محمد أحمد، الأسلوبية والتقاليد الشعرية دراسة في شعر الهذليين ،ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1995م.

3 ـ الزمخشري ، الكشاف، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، ج1.

4 ـ الحربي فرحان بدري، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، دراسة في تحليل الخطاب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2003.

5 ـ يوسف أبو العدوس، البلاغة والأسلوبية، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1999.

6 ـ مطلوب أحمد أساليب بلاغية الفصاحة –البلاغة – المعاني ط1،وكالة المطبوعات ، الكويت ، 1980.

7 ـ مصلوح سعد عبد العزيز، في البلاغة والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت،2003م

8 ـ نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج 1، دار هومة، 1977.

9- السكاكي يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (ت 626 ه) مفتاح العلوم، ط1، ضبطه وكتب هوامشه معين زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.

10- عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، تح: علي عبد الواحد وافي، دار النهضة المصرية، ط3، 1989،

11- عبد السلام المسدي ، الأسلوبية والأسلوب ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، د/ ت ..

12- عبد المطلب محمد، البلاغة والأسلوبية، ط1 الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، 1994.

13- عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، ط2، مكتبة مجدلاوي، دمشق، 2006، ص15، 18.

الهوامش :

[1] – إبراهيم عبد الجواد، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، مخطوط رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، 1994، ص126-127

[2] – عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، نحو بديل ألسني في نقد الأدب، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1977، ص33

[3] – يوسف أبو العدوس، البلاغة والأسلوبية، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1999،ص39 .

[4] – عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا ، د/ ت ، ص 105.

[5] – نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج 1، دار هومة ، 1977، ص27،28.

[6] – عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، تح،علي عبد الواحد وافي، دار النهضة المصرية، ط3، 1989، ص552.

[7] – مصلوح سعد عبد العزيز، في البلاغة والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، 2003م، ص30.

[8] – الحربي فرحان بدري، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، دراسة في تحليل الخطاب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2003، ص25.

[9] – مطلوب أحمد أساليب بلاغية الفصاحة، البلاغة، المعاني، ط1، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980، ص67.

[10] – عبد المطلب محمد، البلاغة والأسلوبية، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، 1994م، ص260،261.

[11] – السكاكي يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (ت 626 ه) مفتاح العلوم ، ط1، ضبطه وكتب هوامشه معين زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ص231.

[12] – المصدر نفسه، ص249.

[13] – الحربي فرحان بدري، الأسلوبية في النقد العربي الحديث ، دراسة في تحليل الخطاب، ص26.

[14] – المصدر نفسه، ص29.

[15] – السكاكي، مفتاح العلوم، ص330.

[16] – عبد المطلب محمد، البلاغة والأسلوبية، ص353.

[17] – المصدر نفسه، ص355.

[18] – بربري محمد أحمد ، الأسلوبية والتقاليد الشعرية دراسة في شعر الهذليين ،ط1، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1995، ص18.

[19] – مصلوح سعد عبد العزيز ، في البلاغة والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة ،ص67.

[20] – امرؤ القيس، الديوان، ضبطه وصححه: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، دط، لبنان، 2002، ص53.

[21] – سورة يس الآية 22.

[22] – سورة آل عمران الآية 57.

[23] – سورة آل عمران الآية 56.

[24] – ينظر الزمخشري، الكشاف، تح: خليل مأمون شيحا، ط3، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج1، ص433.

[25] – سورة يونس، الآية 22.

[26] – ينظر المرجع السابق ، الزمخشري ، الكشاف ، ج 2 /ص231.

[27] – سورة النساء الآية 152.

[28] – سورة النساء الآية 152.

[29] – المرجع السابق ، الزمخشري ، الكشاف ، ج 1 /ص576.

[30] – عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، ط2، مكتبة مجدلاوي، دمشق، 2006، ص15،18.